

ثامناً:

أشهر أساتذة التشريع  
من الصحابة

obeikandi.com

## أشهر أساتذة التشريع من الصحابة بالمدينة:

عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -

عمر بن الخطاب هو الناسك الذى تفجر نسكه حركة، وذكاء وعملا وبناء. هو المعلم الذى صحح مفاهيم الحياة وأفرغ عليها نوراً من روحه، وكساها عظمة من سلوكه وكان للمتقين إماماً..!!

هو البسيط فى قوة، القوى فى عدل ورحمة.. هو الحاكم المؤمن الذى أنجبتة البشرية ورباه الإسلام.

هو من وصفوه بأنه: "إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع.. فقد ورث من طباع أبيه صرامة لا تعرف الوهن، وحسماً لا يؤرجحه التردد، وتصميماً لا يقبل أنصاف الحلول.

إنه صاحب الطبيعة الفذة التى قلما تتكرر، وقلما يكون لها فى الأعداد الهائلة من البشر نظير.

ولقد أدرك الرسول ﷺ عظمة تلك الطبيعة البشرية التى رزقها عمر.. وكان يعرف ما تنطوى عليه من أصالة واقتدار ولذلك كان يدعو ربه بأن ينصر الإسلام به. ولقد ربح الإسلام بانضمام عمر ؓ إليه، وقد قال عبد الله بن مسعود:

"مازلنا أعزة منذ أسلم عمر، كان إسلامه فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمارته رحمة، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر"!!

وقد لقبه رسول الله ﷺ بالفاروق، بعد أن فرق الله بإسلامه بين الحق والباطل، وبين الملاينة والمواجهة.

وعمر هو ثانى الخلفاء الراشدين بعد أبى بكر الصديق وهو صاحب المقولة الشهيرة: "ماذا تقول لربك غدا إذا أتيته" ومن هذه المقولة يتمثل دين عمر ومنهاجه، وتستمد حياته موازينها ومعاييرها. وعلى الرغم من أنه كان أقوى من

كل شهوة وزلة، حتى لأنه معصوم من الخطأ عصمة كاملة، وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة، ومع هذا يقف بين يدي الله موقف الخشية والحذر والحياء حتى أنه حين يؤم الناس في الصلاة كان يسمع بكاءه ونشيجه أصحاب الصف الأخير..!

هو ذلك الإنسان الخاشع الضارع الأواب الذي لا شيء يورقه في نومه، ويقلقه في صحوه مثل الخشية من أن يسأل ربه غداً في عتاب "لماذا فعلت هذا يا عمر؟" وحين تولى الخلافة بعد أبي بكر خطب عمر في الناس قائلاً:

"أيها الناس إنى قد وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعاً بأموركم ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر انتظار الحساب"!!

وحين أصبح حاكماً حرم نفسه من الطيبات المشروعة للحاكمين، ومن الطيبات المشروعة للمواطن العادى.

وقد فعل ذلك بروح المسئولية التي حببت إليه أن يكون أول من يجوع إذا جاع قومه.. وآخر من يشبع إذا شبعوا وكان يقول: "كيف يعنينى شأن الناس، إذا لم يصبني ما يصيبهم"!!

ولقد رفض أمير المؤمنين إلحاح أصحابه وإخوانه لى يولى ابنه "عبد الله" منصباً من مناصب الدولة.. كما رفض أن يرشحه عند موته للخلافة ضمن الستة الذين رشحهم ليختاروا من بينهم وقال:

"حسب آل عمر أن يحاسب منهم واحد، هو عمر"

وقد وضع مبدأ جليلاً فقال:

"من استعمل رجلاً لمودة أو قرابة، لا يحمله على استعماله إلا ذلك. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين".

وعن الاجتهاد والفتوى فى عهد عمر كما روى عن شريح أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب أن أقض بما استبان لك من قضاء رسول الله: فإن لم تعلم من أقضية رسول الله ما يساعدك فاقض بما استبان لك من أقضية أئمة المجتهدين، فإن لم تعلم فاجتهد رأيك واستشر أهل الصلاح والعلم.

ولو تتبعنا تاريخ "عمر" لعرفنا كيف كان أظهر الصحابة في استعمال الرأي والاجتهاد وكيف كان للشورى في عهده دور مهم.. وكيف أدرك أن الحرية حق تعلنه لحظة الميلاد.. وكيف أن الحرية لديه هي حرية الحق الذي فوق جميع القيود.. وكيف كان يرى الناس أحرار في أن يعلنوا آراءهم ويحدثوا بما في أنفسهم، فإن أصابوا ربح الجميع وإن كان هناك خطأ تبيينوه.

وأعظم مثال على عدل عمر وديمقراطيته حين طلب من العباس أن يترك داره لأنها قريبة من المسجد ليزيد مساحته بها لأنه سمع رسول الله يقول بذلك قبل وفاته، وأن يعوضه بأفضل منها ولكن العباس رفض وطلب منه أن يحتكموا أمام حذيفة بن اليمان ووافق عمر، ولم يستدع حذيفة بل ذهب إليه هو والعباس الذي قضى بعدم أخذ عمر لداره إلا برضاه وليس قهراً، فعدل عمر عن هذا.. وحينها نظر العباس إليه وقال: ألا تزال تريد أن تغلبني على داري؟

قال عمر: لا ...

قال العباس: ومع ذلك فقد أعطيتك الدار تزيدها في مسجد رسول الله!

وكان عمر عالماً فقيهاً، وقد قال عنه عبد الله بن مسعود: "كان عمر أعلمنا بكتاب الله. وأفقهنا في دين الله".

وكان أصحابه يتحدثون بأنه ذهب وحده بتسعة أعشار العلم.

وقد قال رسول الله ﷺ مشيداً بفطنته الخارقة: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقَلْبِهِ".

ولعقله المضيء وبصيرته الذكية جعله الرسول مصدراً من مصادر التشريع حين قال لأصحابه:

"إني لا أدري ما مقامى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر".

وكانت المظاهر العابرة لا تكفي عنده لتكوين أحكام عن الآخرين. فحين سمع واحداً يطيرى آخر ويمتدحه قائلاً، إنه رجل صدق فيسأله عمر: هل سافرت معه يوماً..؟

يقول الرجل: لا.

- هل كانت بينكما خصومة يوماً..؟

- لا..

- هل انتمنته يوماً على شيء..؟

- لا

فيقول عمر: "إذن لا علم لك به. لعلك رأيتَه يرفع رأسه في المسجد ويخفضه"!!!

إنه عمر هذا الإمام الورع التقى لا يرى في رفع الرأس وخفضه في المسجد كافياً للثقة بمن يفعل هذا، لا تهوينا لشأن العبادة، ولكن إحاطة بأسرار النفس البشرية.. فهو في معرفته بالناس. لا يكتفى بتمحيص جانب العبادة فيهم إنما يُطل على الشخصية كلها، فالعبادة عنده تعنى استواء الشخصية كلها وكانت التقوى عنده قوة وطهر وسعة حيلة وتفوق.

وكان يدرك "عمر" بظننته أن الفضيلة ليست إنسحاباً من الحياة خوفاً من الفتنة، بل هي مجابهة الحياة ومغالبة الفتنة.. وفي هذا يُسأل: أيهما أذكى وأفضل - رجل لا يأثم لأن نفسه لا تشتهى الإثم، أم رجل تشتهى نفسه الإثم ولا يأثم؟

فيجيب عمر: "الذين يشتهون المعصية، ولا يعملون بها، أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم".

وكان من الممكن أن يفتى في قضيتين متماثلتين بفتاوى مغايرة فإن سئل عن السر في هذا يقول: "ذاك على ما قضينا، وهذا على ما نقضى".. أى أن ظروف القضيتين مختلفة، وإن تماثلت الوقائع. فهو لا يضع فتاواه في قالب جامدة بل كان يتعامل معها بحسب الظروف والأسباب التي تستجد أو تنقص، فمثلاً نراه ينهى حكماً شرعياً كان قائماً في عهد الرسول ﷺ وأبو بكر ؓ ولا يزال منطوق هذا الحكم آية تنلى في كتاب الله.. وهذا الحكم، هو تخصيص جزء من ضريبة الزكاة للمؤلفة قلوبهم.. وهؤلاء هم من دخلوا الإسلام باقتناع ضعيف أو بغير اقتناع، ففرض القرآن لهم في بيت المال حظاً يأخذون منه الزكاة تألفاً لهم حتى لا ينصرفوا عن الدين قبل أن يذوقوا حلاوة الإيمان فيقبلوا عليه راغبين موقنين.. وقلب عمر وجوه الرأي في هذا الشأن ثم قال:

" لقد كان رسول الله يعطيهم، والإسلام يومئذ ضعيف .. أما اليوم فقد أعز الله دينه وأعلى كلمته، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولن يتسع هذا الدين إلا لمن يدخله راغباً مؤمناً".

وهكذا نرى أن عمر قد طور في هذه الواقعة التشريع ليتناسب مع الوضع الجديد.

وأمثلة أخرى توضح أعمال العقل قبل إبداء الرأي:

حينما جاء إليه بمسلم ارتكب ما يوجب الحد، ويشهد ثلاثة شهادة تدينه، ولم يبق إلا شهادة الرابع، ثم يصير الحد عقاباً محتوماً.. ويرسل عمر يستدعي الشاهد.. ولا يكاد يراه مقبلاً حتى تأخذه رهبة.. وحين تترسخ خطاه، ينظر إليه أمير المؤمنين ويقول:

"أرى رجلاً أرجو ألا يفضح الله به واحداً من المسلمين".

ويقدم الشاهد، ويقول: لم أر شيئاً يوجب الحد.. ويتنفس عمر الصعداء.

ويأتيه رجل يسعى ذات يوم ظاناً أنه يحمل إليه بشرى. فيقول يا أمير المؤمنين، رأيت فلانا وفلانة يتعانقان وراء النخيل، فيمسك عمر بتلابيبه، ويعلوه بمخفقتة، ويقول له بعد أن يوسعه ضرباً:

"هلا سترت عليه، ورجوت له التوبة، فإن رسول الله قال: من ستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة" !!

وإنه ليوصي الناس بهذا الفقه العظيم فيقول:

" هكذا فاصنعوا.. إذا رأيتم أماً لكم زل زلة فسددوه ووقفوه، وادعوا الله أن يتوسع عليه، ولا تكونوا عوناً عليه للشيطان" !!..

ويأتيه يوماً رجل يستفتيه قائلاً:

- إن ابنتي كانت قد أصابت حداً من حدود الله، وأخذت الشفرة لتذبح نفسها، فأدر كناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت، ثم تابت بعد ذلك توبة حسنة. وهي اليوم تخطب إلى قوم. فأخبرهم بالذي كان..؟

فيجيبه عمر ذو الورع الذكي:

"أتعبد إلى ماستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بها أحداً من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، اذهب وانكحها نكاح العفيفة المسلمة".

وعلى الرغم من أنه كان شديد الوطأة، شديد البأس إلا أنه كان شديد الذكاء أيضاً ولا يقضى بعواطفه بل يستعين بهذا الذكاء.. فطبيعي أنه ينفر من الإثم ولكنه يمحص ظروف اجتراحه تمحيص خبير ويضع القاعدة الذهبية التي تقول:

"لأن أعطل الحدود في الشبهات، خير من أن أقيمها في الشبهات"!!..

وفي إحدى الليالي وكان عاسا في المدينة.. سمع سيدة تشكو بثها وحزنها لغياب زوجها، وتبين عمر أن زوجها مجند في أحد جيوشه وعند الصباح ذهب لابنته حفصة وسألها:

يا حفصة. كم تصبر المرأة عن زوجها؟

فتجيبه: تصبر شهراً، وشهرين، وثلاثة، وينفذ مع الشهر الرابع صبرها.

فيسن من فوره قانونا، بالأ يغيب في الجهاد جندي متزوج أكثر من أربعة أشهر.. ويرسل لزوج السيدة يستدعيه من فوره..!!

ويسمع شيخاً كبيراً يبكي في شعر جزل ولده الوحيد الذي طال غيابه عنه.. ويسأل عمر فيعلم أنه هو الآخر في أحد جيوش المسلمين، فيستدعيه فوراً.. ثم يسن قانونا ألا يخرج إلى الجهاد من له أبوان كبيران إلا بعد إذنهما!!..

وهكذا كان يستمد قوانينه من حاجة الناس ومن واقع الحياة.

ولقد درج العرف والقانون على اعتبار الاعتراف سيد الأدلة.. وهذا حق ولكن أمير المؤمنين يقرر بفطنته أنه ليس كذلك دائماً، ولا بد لكى يؤخذ الاعتراف كدليل، ألا يعزل عن الظروف التي تكتنفه وتحيط به، فربما يجيء نتيجة خوف أو إكراه، وعندئذ يفقد قيمته.. ويقول عمر:

"ليس الرجل بمأمون على نفسه إن أجمته أو أخفته، أو حبسته أن يقر على نفسه"!!..

وقد كان يأمر قواد جيوشه ألا ينزلوا عقابا بجندي حتى "يطلعوا من الدرب قافلين".

فكان يرى أنه إذا ارتكب جندي خطأ ما، فلتتحقق الواقعة والمسئولية ولكن توقيع الجزاء والعقوبة، يظل مرجأ حتى يغادر الجندي بلاده ويعود لوطنه ويعطى هذا بالخوف من أن يلحق الجندي بالأعداء ويأوى لصفوفهم لو أنزل به العقاب.

• وإنه ليجاء إليه يوماً بغلمان صغار السن سرقوا ناقة رجل من مُزينة؟ فلايكاد يراهم صفر الوجوه، ضامري الأجسام حتى يسأل: من سيد هؤلاء..؟ قالوا: حاطب بن أبي بلتعة.

قال: إلىَّ به.

فلما جاء حاطب، سأله: أنت سيد هؤلاء..

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال عمر: لقد كدت أنزل بهم العقاب، لولا ما أعلمه من أنكم تدنّبونهم وتجيعونهم - لقد جاعوا فسرقوا، ولن ينزل العقاب إلا بك!!

ثم سأل صاحب الناقة:

- يا مزني، كم تساوي ناقتك؟

قال: أربعمائة..

قال عمر لحاطب: اذهب فأعطه ثمانمائة!!

ثم قال للغلمان: اذهبوا، ولا تعودوا لمثلها!!

وهكذا إذا تتبعنا ما كان يسنه عمر من قوانين وما كان يطلقه من فتاوى فلن يتسع لنا المجال لكي نرصده جميعاً والأمثلة كثيرة وعديدة فهناك كتبه لقواده وتوجيهاته العسكرية وكتبه لولاته..

وقبل أن يتسنى لنا أن نختم الحديث في هذا الشأن لابد أن نذكر مثاليين يعبران عن مدى ذكائه وبساطته ودعابته:

فحين يبصر امرأة تستجيش أحزان الناس وتمسح دموعها الكواذب فيعلوها بمخففته.. ويطردها ويقول: "إنها لا تبكي لشجونكم وإنما تبكي بدراهمكم..".

ويسأل أحد أولاد هرم بن سنان الذي خلده بشعره، زهير بن أبي سلمى، فيقول له أنشدني بعض مدح زهير أباك. فينشده فيقول عمر: إنه كان ليحسن فيكم القول..

يجيبه الرجل: ونحن والله. إن كنا لنحسن له العطاء..

فيقول عمر: قد ذهب ما أعطيتموه.. وبقي ما أعطاكم!!

وفي حديث لعمر أخرجه آدم بن أبي إياس في "العلم" عن الأحوص بن حكيم ابن عمير العبسي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: "تفقهوا في الدين، فإنه لا يعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق، ولا يترك حق وهو يرى أنه باطل"<sup>(١)</sup>.

رحم الله عمر فمن حسن حظ البشرية أنه واحد منها، لقد ألهمه الله رشده، ووقاه شر نفسه ومنحه من استقامة الشخصية وجلالها ما جعله نسيج وحده لا في بلده فقط ولا في عصره وإنما ملء كل زمان ومكان.

\* \* \*

## على بن أبي طالب - رضی الله عنه -

هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول، زوجته رسول الله ﷺ فاطمة ابنته بأمر من السماء، وقال لها:

"أما والله زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة" ولما نزلت الآية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا النبي ﷺ علياً وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين وضمهم إليه وقال: "اللهم هؤلاء أهلي".

وحين آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار اختص على - كرم الله وجهه - بإخوته.

وقد كان مضرب المثل في البطولة والشجاعة، اختاره النبي ﷺ لينام في فراشه في الليلة التي عقدت قريش فيها أمرها على قتله ﷺ فاختاروا من كل قبيلة رجلاً جلدًا فاتكأ، واجتمعوا عند بابيه ليلاً حتى أصبح الصباح وخرج من باب الدار انقضوا عليه وضربوه بسيفوفهم المشحوذة ضربة رجل واحد.

ولنا أن نتخيل كيف أمضى فتى الفتیان هذه الليلة.. فلا بد أن يكون بين جوانحه قلب أسد لا يخشى البأس!

وكم كان له من بطولات احتلت حيزاً كبيراً في صفحات المجد والشرف ومنها موقفه الجليل في يومى خيبر وأحد وغيرهما من المشاهد.

لقد كان - ﷺ وأرضاه - نموذجاً في كل صفات الخير، في الشجاعة، وفي الكرم، وفي الوفاء، وفي التواضع، وفي الزهد، وفي العلم، وفي اللين، وفي الرفق.. في كل شيء كان على سابقاً.. وكيف لا يكون كذلك وقد تربي في بيت النبوة ونما وترعرع في ظل معلم البشرية وهاديها سيد الأنبياء والرسل ﷺ.

وقد وصف الإمام النووي علياً - كرم الله وجهه - بقوله:

"هو أحد العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وقد اختلف العلماء في أول من أسلم من الأمة، فقيل خديجة، وقيل أبو بكر وقيل علي.. وقال ابن المسيب: ما كان أحد

يقول: سلونى غير على. وقال عبد الله بن عباس: أعطى على تسعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم فى العشر الباقى<sup>(١)</sup>.

ووصفه الإمام المناوى فى طبقاته بقوله:

"هو باب مدينة العلوم والمواهب، ولّى المتقين، وإمام العادلين.. ختم الله به الخلافة كما ختم بمحمد ﷺ النبوة.. وكلامه أفرد بعدة أسفار كبار، وأما ما نقل عنه من التقل والتزهد، وما اشتهر به من الترهّب والتعبّد فكثير.. وقال ﷺ: "والذى فلق الجنة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى ﷺ إلىّ ألاّ يحبنى إلاّ مؤمن، ولا يبغضنى إلاّ منافق (رواه مسلم). وفى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً.."<sup>(٢)</sup>.

لقد التقت شخصية البطل والرجل والمسلم فى شخصية الإمام على أصدق لقاء.

لم ينفصم البطل عن الرجل، عن المسلم فى حياة "على" على الإطلاق، فإذا رأيناه يبارز خصماً مثلاً؛ فليس البطل المتمكن هو وحده الذى يبارز بل إن رجولة الرجل؛ وورع المسلم هما اللذان يرسمان للبطل أسلوب المبارزة وأدائها..!!

وحين أباح الرسول ﷺ للمسلمين أن يستعملوا رأيهم واجتهادهم الخاص إذا عرضت لهم مسألة لم يجدوا لها جواباً فى القرآن أو الحديث.. قد أقر "على" على التشريع بالاجتهاد عندما بعثه إلى اليمن، فقد روى أنه ودعه بقوله: "اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه". وأوصاه ألا يقضى بين خصمين حتى يسمع كلام كل منهما، وقال له: "إنك إن اجتهدت فأصبحت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر واحد".

ومن أمثلة اجتهاد الإمام على: أنه أتاه باليمن ثلاثة نفر يختصمون فى غلام، فقال كل منهم: هو لى. ولم يكن لأحد منهم دليل قوى، فأقرع على بينهم، وجعل الولد لمن خرجت له القرعة وألزمه بأن يدفع للرجلين ثلثى الدية، فبلغ ذلك الرسول ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه<sup>(٣)</sup>.

(٢) الكواكب الدرية.

(١) تهذيب الأسماء واللغات.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ص ٧٣.

وكان قد تولى أمر القضاء في خلافة عمر بن الخطاب وغيرها الكثير وكان إذا خرج من المدينة استخلفه عليها.

وقد تعرض الإمام عليّ لمحنة كبرى بدأت بتعرضه لموقعة "الجمل" وما تحمله من معاناة نفسية ومعنوية حين خرج عليه أحب الصحابة لقلبه طلحة والزبير - رضی الله عنهما - والسيدة عائشة - رضی الله عنها - يطالبون بدم عثمان، وقد خرج إليهم في محاولة لإخماد تلك الفتنة قبل أن يستشري أمرها ولكنهم كانوا قد سبقوه إلى البصرة وقامت معركة بين الفريقين أشعلها الكارهون للإسلام وأحكموا مؤامرتهم واستمر القتال سبعة أيام وقتل يومئذ الصحابيّان الجليلان كما قتل من الفريقين ما يقرب من عشرة آلاف.

وقام الإمام "عليّ" بتجهيز أم المؤمنين - سيدتنا عائشة - بكل ما تحتاج إليه في رحلة العودة إلى المدينة، وشيئها بنفسه وسير معها أولاده وبعض رجاله.

واكتملت محنته حين تعرض أيضاً لخدعة التحكيم من معاوية بن أبي سفيان على يد عمرو بن العاص ومحاولة خلعه.

وحين عصاه جنوده وشيعته ومحبيه وإذا بفريق كبير من الجيش عدته حوالى اثني عشر ألفاً يعلنون التمرد ويرفعون راية العصيان رافضين نتيجة التحكيم وراحوا يرددون القول: لا حكم إلا لله.

وحين ظهر الخوارج الذين شقبت بهم الأمة طويلاً ولا تزال، والذين اعتقدوا أنهم وحدهم المسلمون حقاً، وأن جمهور الأمة قد ارتدوا للكفر فاستباحوا دماءهم وأموالهم.

وما أن فرغ أمير المؤمنين "عليّ" منهم وأراد السير لأهل الشام فإذا برجاله يستمهلونه بحجة الاستعداد للقتال وراحوا يتسللون من معسكره خفية، ومن بقى مع الإمام راحوا يتقاعسون عن القتال ويدافعون بطريقة القهقري وهو يعظهم

بكل موعظة، ويستحثهم بأبلغ القول، ولكن لا حياة لمن تنادى!!

وفي تلك الأثناء تمكن معاوية رضي الله عنه من الاستيلاء على مصر، ومن بعدها الحجاز واليمن.

ومن خطب "علي" ﷺ التي تقطر مرارة وأسى بسبب خذلان شيعته وعصيانهم له في أخريات أيامه والتي أمر أحد أصحابه بقراءتها على أهل الكوفة في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة وقال فيها:

".. أما والله لو ددت أن الله أخرجني من بين أظهركم، وقبضني إلى رحمة من بينكم.. ولو ددت أني لم أركم ولم أعرفكم، فقد والله ملأتم صدري غيظاً، وجرعتموني الأمرين أنفاساً، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان.. حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا غم له بالحرب، الله أبوهم!! هل كان فيهم رجل أشد لها مراساً، وأطول مقاساة مني؟؟.. لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنذا اليوم قد عدت الستين.. ولكن لا رأي لمن لا يطاع!!"

وهكذا فالدنيا - لأولياء الله وأحبابه- تعب ونصب، وقد قال الحبيب ﷺ :  
" لا راحة لمؤمن دون لقاء الله."

وكان الرسول ﷺ قد أخبر "علي" بتفاصيل قتله حتى عرفه من سيقتله وفي أي ساعة فكان كرم الله وجهه إذا لقي عبد الرحمن بن ملجم يشير إليه قائلاً لأصحابه:

- هذا قاتلي.

فإذا قالوا له:

- ألا تقتله؟

يقول لهم:

- ومن يقتلني إذن؟

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ حين قال له يوماً:

- "يا علي، من أشقى الأولين وأشقى الآخرين؟"

فقال: الله ورسوله أعلم.

قال: "أشقى الأولين عاقر الناقة، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي". وأشار ﷺ إلى الموضع الذي سيطعن فيه.

وهكذا وكما رأينا تحققت النبوءة وقتل رحمه الله بسيف عبد الرحمن بن ملجم .  
 رحم الله "علي" ﷺ فلم يبق أحد من المسلمين إلا بح صوته ترحما عليه ، وقد  
 وقف أحد كبار الصحابة وهو الصحابي الجليل "عبد الله بن عمر" يقول والدموع  
 تبلل لحيته:

" ما أجدني آسى على شىء فاتنى فى حياتى، إلا على أنى لم أقاتل مع  
 "علي" الفنة الباغية".

وأحس المسلمون حينئذ بفداحة ما فعلوه وخاصة فى العراق الذين أحسوا أنهم  
 ضالعون فى الإثم وشركاء فى الوزر، يوم تخلوا عنه وتركوه وحده فى الفضاء  
 الموحش!! وراحوا يبكون، ويولولون..

رحم الله الإمام على رابع الخلفاء الراشدين وخاتمهم كما كان رسولنا الكريم ﷺ  
 خاتم الأنبياء.. رحم الله إمامنا فكان نعم الإمام الفقيه العادل الشجاع، العالم  
 الرحيم.. والذى فى إسلامه كان نموذجا عظيما مكتمل الشكل والجوهر حيث  
 كان إسلامه عبادة، ونسكا.. جهادا وبذلا.. ترفعا وزهدا، فطنة وورعا.. سيادة  
 وتواضعا.. قوة ورحمة.. عدالة وفضلا.. استقامة وعلما.. بساطة وتمكنا..  
 ولاء وفهما.

\* \* \*

## عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما -

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى العدوى.

أسلم عبد الله مع أبيه عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - ، وهو غلام لم يبلغ الحلم<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من صغر سنه فقد وجد في الدين الجديد نوراً يهدى.. وفي الرسول ﷺ مثلاً يقتدى<sup>(٢)</sup> به.

وقد هاجر إلى يثرب - المدينة المنورة- قبل والده ، وذلك عندما صدر أمر النبي الكريم بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة.

جمع عبد الله بن عمر في شخصه جمال الخلق<sup>(٣)</sup> والخلق<sup>(٤)</sup>.

فقد كان كريم النفس، عفيف اللسان، طاهر القلب، باسط اليد بالصدقة والإحسان.

وهو إلى جانب ذلك كان مجاهداً مخلصاً لدين الله الحنيف يتمتع بقوة ورجولة جعلتا منه بطلاً مقدماً<sup>(٥)</sup> في كل الحروب التي خاضها، مجاهداً في سبيل الله سبحانه وتعالى.

ولم يعرف التاريخ الإسلامى تابِعاً مؤمناً كعبد الله بن عمر.

فهذا الفتى الأغر<sup>(٦)</sup> أحب الرسول حباً ملك عليه قلبه وعقله، فتأثر به حتى حفظ كل تصرفاته.

وعندما أصبح رجلاً.. ومضى الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى. استمر يمارس العادات التي كان يقوم بها النبي ﷺ وكان ذاكرته خزان لكل الصور والمشاهد التي رآها من خلال مرافقة النبي المصطفى.. وعرف بين المسلمين بأنه من أكثر الناس اتباعاً لآثار الرسول ﷺ.

لقد كان ابن عمر تاجراً كبيراً أصاب من التجارة ما لا كثيراً . كما كان دخله

(٣) الخلق : الأخلاق .

(٢) يقتدى به : يُتَلَد .

(١) الحلم : سن الرجولة .

(٦) الأغر : الجميل .

(٥) مقدم : شجاع .

(٤) الخلق : الهيئة والشكل .

من بيت المال كبيراً. ولكنه لم يحاول أن يجمع ثروة كبيرة تفتته<sup>(١)</sup> عن دينه أو يبيذخ<sup>(٢)</sup> في الأرض فينسى آخرته.

وحب الصدقة والإحسان للفقراء يمتلك في نفسه حتى قيل إنه كان يتصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألف درهم.

وقصص الإحسان حول عبد الله أكثر من أن تعد وتحصى لأنه وقف حياته عليه.

وعلى الرغم من كثرة مال ابن عمر فإن الدنيا لم تفتته بزيغها ولا جذبتة بزخرفها. بل عاش حياته يبذل ماله في سبيل الله دون أن يفكر بنعيم العيش ورفاهية الحياة.

وكان الرسول الكريم يرى فيه رجل خيرٍ ونقى فعلمه كثيراً.. وحدثه كثيراً.. ونصحه كثيراً.

وفي ذلك يقول عبد الله:

أخذ رسول الله ﷺ يوماً ببعض جسدي وقال :

- يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب ، أو كأنك عابر سبيل.. وعن نفسك كن في أهل القبور<sup>(٣)</sup>.

ثم قال لي :

- يا عبد الله بن عمر فإنه ليس ثم دينار ولا درهم إنما هي حسنات وسيئات.. جزاء بجزاء وقصاص بقصاص. ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة. فيفضحك على رعوس الأشهاد.

ومن جر ثوبه خيلاء<sup>(٤)</sup> لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

والترم ابن عمر بنصيحة رسول الله ﷺ طيلة حياته فكان خير من حدث، وأحسن من أفتى.

(٢) يبيذخ : يسرف .

(١) تفتته : تحوله .

(٤) خيلاء : غرور شديد .

(٣) أهل القبور : الموتى .

وعاش عبد الله بن عمر حياته كلها زاهداً نعيماً لإيمانه أن النعيم الحقيقي هو في لقاء الله سبحانه وتعالى، بأعمال طاهرة ونفس طيبة.

ولم يزهد ابن عمر بمال الدنيا فقط. بل زهد بمناصبها ومراكزها وسلطتها.  
وقال "مالك":

- بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة، وأفتى في الإسلام ستين سنة، فقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض.

واعترل ابن عمر كل نقائل بين الإخوة. ومكث في المدينة يفتى في شئون الناس معتمداً على سعة علمه وصدق حديثه وعمق إيمانه.

وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقى لدينه في الفتوى وكل ما تأخذ به نفسه.

ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان وكان العمر قد تقدم كثيراً بابن عمر، هاجم الحجاج بن يوسف الثقفي مكة ليقتل على نفوذ عبد الله بن الزبير الذي تصدى لعبد الملك، ولم يقر له بالخلافة.

وفي موسم الحج أمر عبد الملك الحجاج بأن يحج مع عبد الله بن عمر وأن يفتدى به. فكان ابن عمر يتقدم الحجاج بالمواقف في عرفة وغيرها.  
وحقد عليه الحجاج من أجل ذلك.

وفي أحد الأيام بينما الحجاج يخطب وهو في أوج قوته وعظمته قال:

- إن ابن الزبير حرف كتاب الله.

انتفض ابن عمر في مجلسه، وهو الذي عرف بأمانته واستقامته ومناصرتة للحق. ووقف وسط المسلمين في وجه الحجاج يصرخ موجهاً كلامه إليه:

- كذبت.. كذبت.. كذبت..

فبهت<sup>(١)</sup> الحجاج وأخذته المفاجأة، واعتراه الارتباك أمام صرخات ابن عمر،

(١) بهت: ذهل.

وعجز عن الرد عليه وهو الذي كانت ترهبه الناس. فحفظها في نفسه وتوعد عبد الله شراً.

وبالفعل نفذ الحجاج تهديده ، وأوعز إلى أحد غلمانه بالقضاء على ابن عمر. وحضر الرجل حرباً مسمومة وسار خلف عبد الله حتى تمكن منه فوخزه برأس الحربة في قدمه فأدماه.

ومرض عبد الله بن عمر بسبب ذلك وبدأ السم يسرى في جسده.

واشتد المرض عليه ولم يستطع جسمه أن يصمد طويلاً أمام هذا المرض وقد جاوز السادسة والثمانين من العمر.

رحم الله عبد الله بن عمر فقد كان رقيق القلب يبكي إذا قرأ القرآن أو سمعه، وكان أيضاً شديد الحياء والذكاء وكان من أكثر الصحابة إفتاء حيث أفتى حوالي ستين عاماً.

\* \* \*

## زيد بن ثابت - رضی الله عنه -

هو أنصاري من المدينة.. أسلم وهو صبي صغير، فقد كان حين هاجر إليها الرسول ﷺ يبلغ حوالي إحدى عشرة سنة وبورك بدعوة من الرسول له.

ورده الرسول لصغر سنه حينما صحبه أباه معه لغزوة بدر، وأيضاً في أحد رغم أنه هو وبعض الفرسان الصغار بذلوا ما في جدهم وتضرعوا له بالرجاء تارة وبالدفع تارة، وأيضاً باستعراض عضلاتهم ولكنه وعدهم بإشراكهم في الغزوة المقبلة لصغر سنهم.

وهكذا بدأ زيد مع إخوانه دوره كمقاتل في سبيل الله بدءاً من غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة.

ونمت شخصيته المسلمة المؤمنة نمواً سريعاً وباهراً ولم يبدع كمجاهد فحسب، بل كمتقن متنوع المزاي أيضاً.. فكان يتابع القرآن حفظاً.. ويكتب الوحي لرسوله ويتفوق في العلم والحكمة.. وحين يبدأ الرسول في إبلاغ دعوته للعالم الخارجي كله.. وإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرتها يأمر زيداً أن يتعلم بعض لغاتهم فيتعلمها في وقت وجيز.

وهكذا تألفت شخصية "زيد بن ثابت" وتبوأ في المجتمع الجديد مكاناً علياً وصار موضع احترام المسلمين وتوقيرهم.

يقول "الشعبي" :

"ذهب زيد بن ثابت ليركب، فأمسك ابن عباس بالركاب. فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله.. فأجاب ابن عباس: لا، فهذا نصح بعلمائنا.."

وخلال إحدى وعشرين سنة تقريباً، نزل القرآن وكان الحفظة والمسجلون يوالون عملهم في توفيق من الله كبيراً.

وبعد أن تم نزولاً وخلال الفترة الأخيرة من فترات تنزله كان الرسول ﷺ يقرؤه على المسلمين.. مرتباً.

وبعد وفاته ﷺ شغل المسلمون من فورهم بحروب الردة.

وما كادت نار الردة تخبو حتى فزع عمر إلى الخليفة "أبو بكر الصديق" ﷺ

ملحاً أن يسارعوا في جمع القرآن وخاصة أن عدداً كبيراً من المسلمين من قراء القرآن وحفظته كانوا قد استشهدوا.

فدعا الخليفة زيداً وأمره أن يبدأ بجمع القرآن الكريم مستعيناً بسوى الخبرة في هذا الموضوع.

فجمع "زيد" أصحابه وأعوانه ومضى يجمع الآيات والسور من صدور الحفاظ ومن مواطنها المكتوبة ويقابل ويعارض ويتحرى، حتى جمع القرآن مرتباً ومنسقاً. وقد قال زيد وهو يصور الصعوبة الكبرى التي شكلتها قداسة المهمة وجلالها: "والله لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن".

ونجح في مهمته وكانت هذه هي المرحلة الأولى في جمع القرآن.

ولكن القرآن جمع هذه المرة مكتوباً في أكثر من مصحف، وعلي الرغم من أن مظاهر التفاوت والخلاف بين هذه المصاحف كانت شكلية إلا أنه كان لابد من توحيدها في مصحف واحد.

وفي خلافة "عثمان" ﷺ طالب بعض الصحابة وعلى رأسهم "حذيفة بن اليمان" بتوحيد المصحف واستجد "عثمان" ﷺ بزيد أيضاً لهذه المهمة والذي أتمها زيد وأصحابه على خير وجه حيث أتوا بالمصاحف من بيت حفصة بنت عمر ﷺ.

وكان زيد من أشهر المفتين حتى أنه كان يختلف في بعض القضايا الفقهية مع عمر وعليّ - رضي الله عنهما - وكان المسلمون يستشيرونه كثيراً نظراً لعلمه الغزير وتفقهه وإمامه بما نزل به الوحي.

رحم الله زيداً فقد كانت كلمته بين أعوانه هي الفیصل والحجة.. ويكفي أنه بين الأجلء الذين جاهدوا ليقروا فوق الأرض دينا قيما وليبددوا الظلام بنوره.

وأشهر تلاميذ هؤلاء سعيد بن المسيب وعودة بن الزبير، وأشهر تلاميذ هؤلاء محمد بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد وأشهر من خلف هؤلاء مالك ابن أنس وأقرانه.

## من أشهر أساتذة التشريع من الصحابة في مكة :

عبد الله بن عباس - رضی الله عنه -

هو ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عم رسول الله ﷺ. ولقبه - الحبر.. حبر هذه الأمة، هياها لهذا اللقب، ولهذه المنزلة استنارة عقله، وذكاء قلبه، واتساع معارفه.

ويشبهه عبد الله بن العباس، عبد الله بن الزبير في أنه أدرك الرسول وعاصره وهو غلام، ومات الرسول قبل أن يبلغ ابن عباس سن الرجولة.

لكنه هو الآخر تلقى في حدائته كل خامات رجولته، ومبادئ حياته من رسول الله ﷺ الذي كان يؤثره، ويزكيه، ويعلمه الحكمة الخالصة.

وبقوة إيمانه، وقوة خلقه، وغزارة علمه، اعتلى ابن عباس ﷺ مكاناً علياً بين الرجال حول الرسول.

لقد عرف ابن عباس طريق حياته في أوليات أيامه وازداد بها معرفة، عندما رأى الرسول ﷺ يدنيه منه وهو طفل ويربت على كتفه، ويدعو له قائلاً:

" اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

ثم توالى المناسبات والفرص التي يكرر فيها الرسول هذا الدعاء ذاته لابن عمه - عبد الله بن عباس.. وأنذ، أدرك ابن عباس إنه خلق للعلم، وللمعرفة، وكان استعدادة العقلى يدفعه في هذا الطريق دفعا قويا.

فعلى الرغم من أنه لم يكن قد جاوز الثالثة عشرة من عمره يوم مات رسول الله، فإنه لم يضيع من طفولته الواعية يوماً دون أن يشهد مجالس الرسول ويحفظ عنه ما يقول.

وبعد ذهاب الرسول إلى الرفيق الأعلى حرص ابن عباس على أن يتعلم من أصحاب الرسول السابقين ما فاتته سماعه وتعلمه من الرسول نفسه.

وقد جعل من نفسه "علامة استفهام" دائمة.. فلا يسمع أن "فلاناً" يعرف حكمة، أو يحفظ حديثاً، إلا سارع إليه وتعلم منه.

وكان عقله المضيء الطموح يدفعه لفحص كل ما يسمع.. فهو لا يعنى بجمع المعرفة فحسب، بل يعنى مع جمعها بفحصها وفحص مصادرها.  
يقول عن نفسه:

" إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد، ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ".

وهذا يعطينا صورة لحرصه على إدراك الحقيقة والمعرفة فيقول:

" لما قبض رسول الله ﷺ قلت لفتى من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله، فإنهم اليوم كثير.

"قال: يا عجباً لك يا ابن عباس!! أترى الناس يفتقرون إليك، وفيهم من أصحاب رسول الله من ترى..؟"

"فتركت ذلك، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله.. فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فأتى إليه وهو قائل في الظهيرة، فأتوسد ردائي على بابه، يسفى الريح على من التراب، حتى ينتهي من مقيله، ويخرج فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك..؟؟ هلا أرسلت إليّ فأتيك..؟؟ فأقول: لا، أنت أحق بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتلم منه"!!!..

هكذا راح فتانا العظيم يسأل، ويسأل، ويسأل.. ثم يفحص الإجابة مع نفسه، ويناقشها بعقل جرىء.

وهو في كل يوم، تنمو معارفه، وتنمو حكمته، حتى توافرت له في شبابه الغض حكمة الشيوخ وأناتهم، وحصافتهم، وحتى كان أمير المؤمنين عمر ؓ يحرص على مشورته في كل أمر كبير.. وكان يلقبه بـ "فتى الكهول"!!!..

سئل ابن عباس يوماً: أنى أصبت هذا العلم..؟؟..

فأجاب:

" بلسان سئول..

" وقلب عقول.."

فبلسانه المتسائل دوماً، ويعقله الفاحص أبداً، ثم بتواضعه ودمائة خلقه، صار ابن العباس "حبر هذه الأمة".

ويصفه "سعد بن أبي وقاص" بهذه الكلمات:

"ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا أكبر لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس.."

"ولقد رأيت "عمر" يدعو للمعضلات، وحوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار فيتحدث ابن عباس، ولا يجاوز عمر قوله".

وتحدث عنه عبيد الله بن عتبة فقال:

"ما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ من ابن عباس".

"ولا رأيت أحداً، أعلم بقضاء أبي بكر، وعمر، وعثمان منه".

"ولا أفاقه في رأى منه".

"ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا تفسير للقرآن، ولا بحساب وفريضة منه".

"ولقد كان يجلس يوماً للفقهاء.. ويوماً للتأويل.. ويوماً للمغازى.. ويوماً للشعر.. ويوماً لأيام العرب وأخبارها.."

"وما رأيت عالماً جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلاً سأله، إلا وجد عنده علماً..!!"

وكان تنوع ثقافته، وشمول معرفته يبهر الألباب.. فهو الحبر الحاذق الفطن في كل علم.. في تفسير القرآن وتأويله.. وفي الفقه.. وفي التاريخ.. وفي لغة العرب وآدابهم، ومن ثم فقد كان مقصد الباحثين عن المعرفة، يأتيه الناس أفواجا من أقطار الإسلام، ليسمعوا منه، وليتفقهوا عليه..

حدث أحد أصحابه ومعاصريه فقال:

"لقد رأيت من ابن عباس مجلساً، لو أن جميع قريش فخرت به، لكان لها به الفخر.."

"رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء، ولا أن يذهب.."

"فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابي، فقال لي: ضع لي وضوءاً، فتوضأ وجلس، وقال: اخرج إليهم، فادع من يريد أن يسأل عن القرآن وتأويله..  
"فخرجت فأذنتهم: فدخلوا حتى ملأوا البيت، فما سألوها عن شيء إلا أخبرهم وزادهم..

ثم قال لهم: إخوانكم.. فخرجوا ليفسحوا لغيرهم..

ثم قال لي: اخرج فادع من يريد أن يسأل عن الحلال والحرام..

"فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت، فما سألوها عن شيء إلا أخبرهم وزادهم..

ثم قال: إخوانكم.. فخرجوا..

ثم قال لي: ادع من يريد أن يسأل عن الفرائض، فأذنتهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت، فما سألوها عن شيء إلا أخبرهم وزادهم..

ثم قال لي: ادع من يريد أن يسأل عن العربية، والشعر..

"فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت، فما سألوها عن شيء إلا أخبرهم، وزادهم!!..!!

وكان ابن عباس يمتلك إلى جانب ذاكرته القوية، بل الخارقة، ذكاءً نافذاً، وفطنة بالغة..

كانت حجته كضوء الشمس ألقاً، ووضوحاً، وبهجة.. وهو في حوارهِ ومنطقهِ، لا يترك خصمه مفعماً بالافتتاع فحسب، بل ومفعماً بالغبطة من روعة المنطق وفطنة الحوار.

ومع غزارة علمه، ونفاذ حجته، لم يكن يرى في الحوار والمناقشة معركة ذكاء، يزهو فيها بعلمه، ثم بانتصاره على خصمه.. بل كان يراها سبيلاً قوياً لرؤية الصواب ومعرفة..

ولطالما روع الخوارج بمنطقه الصارم العادل..

ولم يكن ابن عباس يمتلك هذه الثروة الكبرى من العلم فحسب. بل كان يمتلك معها ثروة أكبر، من أخلاق العلم وأخلاق العلماء.

فهو في جوده وسخائه إمام وعلم.. إنه ليفيض على الناس من ماله.. بنفس السماح الذي يفيض به عليهم من علمه..!!  
ولقد كان معاصروه يتحدثون فيقولون:

"ما رأينا بيتاً أكثر طعاماً، ولا شراباً، ولا فاكهة، ولا علماً - من بيت ابن عباس"!!..

وهو طاهر القلب، نقى النفس، لا يحمل لأحد ضغناً ولا غلاً.  
يقول عن نفسه:

"إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود لو أن الناس جميعاً علموا مثل الذي أعلم.."

"وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضى بالعدل، ويحكم بالقسط، فأفرح به، وأدعو له.. ومالي عنده قضية..!!"

وإني لأسمع بالغيث يصيب للمسلمين أرضاً فأفرح به، ومالي بتلك الأرض سائمة..!!"

وهو عابد قانت أواب.. يقوم الليل، ويصوم من الأيام، ولا تخطئ العين مجرى الدموع تحت خديه، إذ كان كثير البكاء كلما صلى.. وكلماً قرأ القرآن.

فإذا بلغ في قراءته بعض آيات الزجر والوعيد، وذكر الموت، والبعث علا نشيجه ونحيبه.

وهو إلى جانب هذا شجاع، أمين، حصيف.. ولقد كان له في الخلاف بين علي ومعاوية آراء تدل على امتداد فطنته، وسعة حيلته.

وهو يؤثر السلام على الحرب.. والرفق على العنف.. والمنطق على القسر..

عندما هم الحسين عليه السلام بالخروج إلى العراق ليقاقل زياداً، ويزيد، تعلق ابن العباس به واستمات في محاولة منعه.. فلما بلغه فيما بعد نبأ استشهاد، أقضه الحزن عليه، ولزم داره.

وفى كل خلاف ينشب بين مسلم ومسلم، لم تكن تجد ابن عباس إلا حاملاً راية السلم، والتفاهم، واللين..

صحيح أنه خاض المعركة مع الإمام علىّ ضد معاوية. ولكنه فعل ذلك لأن المعركة فى بدايتها كانت تمثل ردعاً لازماً لحركة انشقاق رهيبة، تهدد وحدة الدين ووحدة المسلمين.

لقد عاش ابن عباس يملأ دنياه علماً وحكمة، وينشر بين الناس عبيره وتقواه.. وفى عامه الحادى والسبعين، دعى للقاء ربه العظيم..

وشهدت مدينة الطائف مشهداً حافلاً لمؤمن يزف إلى الجنان.

وبينما كان جثمانه يأخذ مستقره الآمن فى قبره، كانت جنبات الأفق تهتز بأصداء وعد الله الحق: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* أَرْجِيْكَ إِنَّ رَبِّكَ رَاضِيَةٌ مَرْضِيَةٌ \* فَأَدْخُلِيْ فِي عِبْدِيْ \* وَأَدْخُلِيْ جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

رحم الله ابن عباس فقد كان نعم الصحابى الجليل الذى ملأ الكون فقها وعلما وتمنى الخير لكل من يعرف ومن لا يعرف من الناس.

- ومن أشهر تلاميذه عكرمة، ومجاهد، وعطاء وأشهر تلاميذهم سفيان ابن عيينة، ومفتى الحجاز مسلم بن خالد، وأشهر من خلف هؤلاء الشافعى فى حياته الأولى.

## من أشهر أساتذة التشريع من الصحابة بالعراق؛

عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه -

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلي أبو عبد الرحمن حليف بنى زهرة.

وقد كان الناس يدعونه: "ابن أم عبد".

كان عبد الله بن مسعود من عامة الناس في مكة. بل كان أجيراً عند سادات قريش يرعى غنمهم ولا يجزؤ على مجالستهم في ناديتهم.

وجاء رسول الله ﷺ برسالته السماوية المباركة إلى جميع بنى البشر. وبدأ يبشر بها في مكة المكرمة، ويدعو للدين الجديد المنزل من الله سبحانه وتعالى بواسطة الملاك جبريل - عليه السلام -.

وكان الدين الذي ينادى به خير المرسلين وسيد الخلق محمد بن عبد الله، ﷺ يدعو للمساواة بين البشر، وإزالة الظلم عن الناس، ومنع الاضطهاد الذي يتعرض له الضعفاء.

فهو دين الإنسانية الحقة، التي تجعل الإنسان يحب الإنسان، والغنى يساعد الفقير، والقوى يعين الضعيف. ولذلك فهو موجه للسادة، كما هو موجه للفقراء والمعدمين والصعاليك.

وسمع عبد الله بن مسعود بدعوة محمد بن عبد الله وهو غلام يافع. ولكن لم يهتم لذلك الأمر، وهو الأجير الفقير، الذي يعيش من رعى عنم عقبة بن أبي معيط. فالصراع بدا له بين السادة والعظام. ولا مكان له فيه.. فهو بعيد عنه.

ولكنه بعد أن لمس بيديه صدق الدعوة وشاهد بعينه كرامة الرسول ﷺ، استجاب للدعوة، وأشهر إسلامه، ووضع نفسه في خدمة النبي الكريم الذي رحب به برضا وسرور.

ولقد اكتسب عبد الله بن مسعود من خلال ملازمته للرسول علماً وفقهاً وتقياً. وقال عن نفسه في ذلك:

"أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد".

ولم يكن عبد الله بن مسعود من أبرع من قرأ القرآن الكريم وحسب، بل كان أيضاً من أفقه الناس لمعانيه، وأعلمهم بآياته.

ولقد شارك عبد الله بن مسعود في الغزوات، وكان إلى جانب الرسول ﷺ مثل بقية الصحابة الكرام مستعداً لبذل الروح، والجهاد بالنفس في سبيل الله العلى القدير.

ظل عبد الله بن مسعود يلازم النبي المصطفى طيلة حياته حتى صعدت روحه إلى الرفيق الأعلى.

ولقد عرف الخليفة عمر بن الخطاب ؓ قدر ابن مسعود، فعينه أميناً على بيت مال الكوفة.

وحياة عبد الله بن مسعود، في دار النبي الكريم جعلت منه رجل علم وتقى وورع وازداد بفضل تلك الصلة المباركة علماً وفقهاً فكان فقيه الأمة وعالم الدين وراوي الحديث الشريف وكان إجلاله لسيد الخلق وتوقيره له ﷺ ، بلغا حداً جعلاه يرتجف من الرهبة والاحترام عند ذكر أي حديث شريف عنه، خشية تحويره.

وبدأت شمعة حياة عبد الله بن مسعود تذوب وتوشك أن تنطفئ. وانصرف إلى العبادة والتأمل وهو يردد. "خير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وشر العمى عمى القلب، وأعظم الخطايا الكذب، وشر المكاسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، ومن يعف الله عنه، ومن يغفر الله له".

هذا هو دستور عبد الله بن مسعود في حياته.

فبعد الله بن مسعود لم يكن من المتمسكين بزيف الدنيا وزخرفها. فهي بنظره زائلة، بل كان ينشد رضا رب العالمين تبارك وتعالى.

ومات عبد الله بن مسعود عن بضع وستين سنة، ودفن في البقيع ، في المدينة المنورة مقر شهداء أحد الأبرار. وصلى عليه ليلاً الصحابي الجليل الزبير ابن العوام.

رحم الله عبد الله بن مسعود ورضى عنه، فهو أول قارئ للقرآن، وهو من تمنى أن يباركه الرسول بدفنه كما باركه بتعليمه وملازمته.

ومن أشهر تلاميذه علقمة بن قيس والقاضي شريح، وأشهر تلاميذهما إبراهيم النخعي وحماد بن سليمان وعنه أخذ أبو حنيفة وأقرانه.

\* \* \*

## من أشهر أساتذة التشريع من الصحابة بمصر:

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما -

هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي عرف بكثرة روايته للحديث النبوي، لأنه كان يكتب. وكان رضى الله عنه يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ، فنهاه الصحابة عن ذلك وقالوا له: إن النبي ﷺ يتكلم في الرضا والغضب فلا تكتب كلما تسمع، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له الرسول ﷺ:

"قوالذى نفسى بيده ما خرج منهما إلا حق، يعنى شفقتيه".

وروى ابن سعد عن مجاهد أنه قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد.

ولنلق بعض الضوء على هذه الصحيفة الصادقة التي هي من أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي.

### الصادقة

#### أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي

من أشهر الصحف التي دونت وكتبت في العهد النبوي، صحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص، ولهذه الصحيفة أهمية علمية بالغة، إذ إنها تعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدي رسول الله ﷺ بإذنه، فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ويزيد من أهمية هذه الصحيفة ما ذكره ابن الأثير في "أسد الغابة" من أنها تضم ألف حديث وأن صاحبها متقدم الإسلام، وقد توفر له من أسباب التحمل وكثرة الرواية ما لم يتوافر لغيره.

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث في قلبه، وكتابته في الصحف، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: " ما كان أحد أكثر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب " رواه البخاري.

ولكثره ما حفظ عبد الله بن عمرو وما تحمل، فقد كان الكثير من الصحابة - رضى الله عنهم- يحرصون على السماع منه والأخذ عنه، قالت عائشة - رضى الله عنها- لعروة بن الزبير: يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج فألحقه فأسأله فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً.

وترجع كتابة عبد الله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في الكتابة، فقد كان يحسن الكتابة ولا يلتبس عليه شيء، وفيما رواه ابن سعد عن عبد الله بن عمرو أنه قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبتّه، فكان عبد الله يسمى صحيفته تلك الصادقة.

وسبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة، أنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، قال مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال:

"هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد" رواه ابن سعد. وقد كان عبد الله يروى ويملى الحديث، ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذي كان يسير عليه في إملائه، ولكن المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا في غاية التثبت لما يروون، سواء أكان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها.

وكان عبد الله بن عمرو يعتز بالصحيفة الصادقة، لأنه أخذها وكتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، وكان يقول: ما يرغبنى في الحياة إلا خصلتان: الصادقة والرهن، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرهن فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها.

وكان عبد الله بن عمرو يملئ الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه السنة، كما كان محافظاً على صحيفته، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية الضياع ، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة، وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث منها.

ومع كثرة ما تحمل عبد الله بن عمرو، مع أنه كان يكتب الحديث، وأبو هريرة

لا يكتب مع هذا نرى أن ما رواه أبو هريرة أضعاف ما رواه ابن عمرو، مع أنه كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس.

هذه حقيقة، ولكننا إذا عرفنا أن ابن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من التعليم، وأنه أقام بعد الفتوح في مصر، بينما كان أبو هريرة في المدينة، يتصدر للحديث، هذا إلى جانب ما حظى به أبو هريرة من دعوة رسول الله ﷺ له ألا ينسى، إذا عرفنا هذا، وقفنا على السبب في كثرة مرويات أبي هريرة عن ابن عمرو - رضى الله تعالى عنهما -.

وكان من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر بعد الفتح الإسلامى عبد الله بن عمرو ابن العاص الذى كان من أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله ﷺ، حيث كان يمتاز عن غيره بكتابة ما يسمعه من الرسول ﷺ. كما نزل مصر عقبة بن عامر الجهنى، وخارجة بن حذافة ومعاذ وغيرهم.

وتعلم على أيدى هؤلاء الصحابة كثير من أهل البلاد وتخرج عليهم كثير من التابعين، منهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزنى مفتى أهل مصر، ومنهم يزيد ابن أبي حبيب.

ومن أشهر تلاميذ عبد الله بن عمرو بن العاص مفتى مصر يزيد بن حبيب، وأشهر تلاميذه الليث بن سعد وأقرانه من بنى عبد الحكم، وأشهر من خلف هؤلاء الشافعى فى حياته الأخيرة. (١)

\* \* \*

(١) عبد الوهاب خلافة: خلاصة تاريخ التشريع الإسلامى ص ٦٢.

## المراجع

- تاريخ التشريع الإسلامى  
مصادر التشريع الإسلامى  
تاريخ التشريع الإسلامى  
أصول التشريع الإسلامى  
خلاصة التشريع الإسلامى  
الفاروق عمـر  
فى رحاب عمـر  
فى رحاب على  
صور من حياة الصحابة  
أعمدة الإسلام  
أصول الفقه  
أصول الأحكام الشرعية  
السيرة النبوية  
أسد الغابة  
ارشاد العباد إلى حجية خبر الأحاد  
رجال حول الرسول  
حياة الصحابة  
صور من حياة التابعين  
نساء مؤمنات
- د. أحمد شلبى  
د. أنور محمود دبور  
الشيخ محمد الخضرى بك  
للأستاذ على حسب الله  
عبد الوهاب خلاف  
د. محمد حسين هيكل  
خالد محمد خالد  
خالد محمد خالد  
د. عبد الرحمن رأفت الباشا  
حلمى على شعبان  
للأستاذ الشيخ بدران  
للدكتور يوسف قاسم  
ابن هشام  
ابن الأثير  
رمضان أحمد عبد ربه عصفور  
خالد محمد خالد  
محمد يوسف الكاندهلوى  
د. عبد الرحمن رأفت الباشا  
عمرو يوسف

وهنا مراجع عديدة ذكرت فى ذيل الصفحات مباشرة للتخفيف على القارئ.